رسائل تربوية

رسالتان في التربية

١ بيوتكم أيّها الدعاة...!

٢ دستور الأسرة المسلمة

بقلم

الدكتور عبد المجيد البيانوني

دار نور المكتبات

جميع الحقوق محفوظة للمؤلّف

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

الإهداء

إلى الإخوة الذين يحملون همّ الدعوة في كلّ مكان

إلى الأسرة المسلمة؛ الخليّة الأولى في صرح المجتمع الإسلاميّ المنشود

إلى الزوجين المؤمنين، ليسيرا في تربية أولادهما على هدىً وبصيرة..

إلى الشباب الطامح إلى التربية الإسلاميّة المثلى، في منهج مكتوب، وخطوات عمليّة بيّنة..

إلى سيّدة الأسرة، الأمّ الفاضلة، مربّية الأجيال وأمل الرجال.. أهدي هذا العمل، تبصرة، ومنهجاً، وذكرى..

المؤلف.

بسم الله الرحمن الرحيم

مِشكاةٌ منَ النور

قال الله تعالى:

{يا أيُّها الذينَ آمنُوا، قُوا أَنفُسَكُم وأَهليكُم نـاراً، وَقُودُها الناسُ والحِجارةُ، عليها مَلائِكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ، لايَعصُونَ اللهَ ما أَمرَهُم، ويَفعلونَ ما يُؤمَرُونَ (٦)} التحريم.

{والذينَ يَقولونَ: ربَّنا هَب لنا مِن أزواجِنا وذرّياتِنا قُرّةَ أَعيُنٍ، واجعلْنا لِلمُتّقِين إماماً (٧٤)} الفرقان.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، والصلاة والسلام الأكملان، على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛ فهاتان رسالتان في الدعوة والتربية كتبتهما في فترتين متقاربتين؛

. **أما الرسالة الأولى** فهي بعنوان: بيوتكم أيها الدعاة، وهي كلمة موجزة، كتبتها منذ مدّة عندما رأيت تفريط بعض الإخوة الدعاة في رعاية أسرهم، والقوامة الشرعيّة الحقّة على من ولاّهم الله تعالى أمرهم، أحببت التنبيه فيها على ذلك بإيجاز، وتسليط الأضواء على

المسئوليّة الشرعيّة عن التربية والقوامة، وبيان آثار إهمال ذلك وأخطاره، على الدعوة والداعية والمدعوين على حدّ سواء.

وإن هذه الظاهرة ظاهرة تخلّف بيوت الدعاة عن منهج الدعوة، واختلاف سلوك نسائهم وأولادهم عن سلوكهم ظاهرة تفشّت وانتشرت، حتى أصبحت هي الأصل والقاعدة، وما سواها هو الاستثناء المستغرب.

ولقد قيل الكثير حول هذه الظاهرة، وآثارها وأضرارها على الدعوة والداعية، ولا يزال للقول متّسع، ما دامت هذه الظاهرة، تشكّل صورة تنذر بالخطر الداهم، الذي يجتاح بيوت أهل الخير، ويغزوهم في عقر دارهم.

. وأما الرسالة الثانية فقد جعلتها بعنوان: دستور الأسرة المسلمة، وقد رتبت فيها خطوات التربية الاسلامية العملية منذ مقدماتها الأولى، بطريقة مواد متسلسلة، ليسهل الرجوع إليها، والانتفاع بها واعتمدت في جلّ ما كتبته على كتاب: **" منهاج التربية الصالحة " لأستاذنا ومربينا الشيخ أحمد عز الدين البيانوني، رحمه الله تعالى، وأعلى منزلته، وأجزل مثوبته.** أسأل الله تعالى أن ينفع بها كما نفع بأصلها.

وقد ألحقت بالرسالة الثانية مقالة تتّصل بموضوعها، وهي بعنوان: " أثر المثل الأعلى في تربية الأجيال، وصنع الرجال "، وأرى من الضرورة بمكان أن يوليها الآباء والأمّهات عنايتهم الخاصّة لأنها خير الوسائل المعينة على التربية.

أسأل الله سبحانه أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، ويتقبّل مني هذا الجهد، ويجعله في موازين حسناتي يوم القيامة، وأن يكتب لهاتين الرسالتين النفع والقبول، ويجعلهما مناراً للأسرة المسلمة، الحريصة على إنشاء الجيل الصالح المصلح ديناً ودنيا، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١/٢/ ١٤١٨ هـ

وكتبه / راجي عفو ربه

عبد المجيد البيانوني

تمهيد

البيت المسلم

مسئولية شرعية، وضرورة دعويّة

إننا عندما نذكر كلمة الداعية، ترتسم أمام عقولنا صورة النبيّ ﷺ بما كان عليه من غيرة على دينه، والتزام تامّ بدعوته، وشمول في هذه الصفة لحياته كلّها، حتى كانت لا تخرج عنها علاقة من علاقاته.

وعلى ذلك سار المقتفون لهديه من أصحابه الكرام، والتابعين لهم بإحسان.. ولكننا نجد اليوم في كثير من الأحيان مفارقة بعيدة بين العلم والعمل في حياة من يضفى عليه هذا اللقب، وبين الدعاوى والحقائق، هذه المفارقة هي علّة العلل، والمصيبة المقتل؛ فمن ثمّ كان حقّ النصح لمن يحمل هذا اللقب أوجب، والتذكير

ببعض ما يَعلمون ويُعلّمون أولى وإن كان أصعب، ولكنها المعذرة إلى الله، وأداء النصح لمن يجمعنا بهم رحاب العمل، ووحدة المفاهيم والمنطلق.

وإن مما يعلمه المؤمن بالبداهة، أن التبعة في الإسلام فردية، فلا تزر وازرة وزر أخرى، ولكن هذه التبعة الفردية، لا يمكن أن تفسر على أنها موقف سلبيّ، فيه الركون إلى النفس، والالتفاف حول الذات، والاقتصار عليها، والعمى عن الواقع الذي يعيشه المسلم، وينتمي إليه.

إن المسلم مكلف بتكاليف كثيرة، عليه أن يقوم بها لخلاص نفسه، وفكاك رقبته من نار وقودها الناس والحجارة.

ومن أبرز التكاليف المفروضة على المسلم، أن يتحمل مسئوليته الدعوية، فيهدي الضالّ، ويرشد الحائر، ويأخذ على يد الظالم، وينكر المنكر بيد أو بلسان أو بقلب، على مقتضى الحكمة، وهدي النبوّة.

وأولى الناس بذلك من المسلم عشيرته الأقربون وأهله الأدنون.

فالمسلم مكلف بنص القرآن الكريم أن يقي نفسه وأهله ناراً وقودها الناس والحجارة: {**يا أيُّها الذينَ آمنوا قُوا أنفسَكم**

وأَهليكم ناراً، وَقودُها الناسُ والحجارةُ، عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ، لا يَعصونَ اللهَ ما أَمرَهم، ويَفعلون ما يُؤمرون (٦)} التحريم.

قال الحافظ ابن كثير، في تفسير هذه الآية: (قال سفيان الثوري رحمه الله عن علي ﷺ، في قوله تعالى: {قوا أنفسكم وأهليكم ناراً} قال: " أدبوهم، وعلّموهم ".

وروى علي بن طلحة عن ابن عباس ﷺ: {**قُوا أنفسَكُم وأهليكم ناراً**} قال: اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله.

وقال قتادة: تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، فإذا رأيت منهم معصية لله، قذعتهم عنها وزجرتهم عنها.

وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه.

وهذه الأقوال جميعاً تدور حول محور واحد وتتفق على نقطة واحدة، وهي أن واجب المسلم ومن الحقوق لأهله عليه، أن يؤدبهم بأدب الإسلام، وأن يعلمهم حدوده، وحلاله وحرامه وأن يعينهم على الطاعة، وينهاهم عن المعصية، ولعل الكلمة الجامعة ما جاء في

قول قتادة: (وأن تقوم عليهم بأمر الله) أي أن يبقى الرجل قائماً (من القوامة) على أهله بالحلال والحرام، بالطاعة والمعصية، يأمر بالأول، وينهى عن الثاني.

وفي آية أخرى، يأتي الأمر أكثر تحديداً وتخصيصاً، ففي سورة طه يتلقى المسلم الأمر الإلهيّ: {**وأمُر أهلَك بالصلاةِ، واصطبِر عليها، لا نَسألُكَ رزقاً نحنُ نَرزُقُكَ، والعاقِبةُ للتقوى**} /١٣٢/.

فليس فرض المسلم أن يصلي وأن يصطبر على الصلاة، أن يعبد الله، وأن يصطبر على عبادته، بل من فرضه أيضاً الذي سيحاسبه الله عليه، أن يأمر أهله، ومن يلوذ به، أو يعيش في كنفه بالصلاة والعبادة.

وإذا كنا نعلم أن الصلاة عماد الدين، من أقامها أقام الدين، ومن هدمها هدم الدين، أدركنا سرّ هذا الأمر الإلهيّ بالأمر بها، والاصطبار على ذلك، **إنه أمر بالبدء بالتربية الإيمانيّة العباديّة، فهي أصل التربية والتقويم.**

وإذا كان السلف الكرام قد رأوا القرابة والإماء والعبيد داخلين في عموم لفظ: " **الأهل** " وأوجبوا على المسلم أن يقوم بأمر الله

فيهم، فكيف يكون الوجوب حين يكون الأهل: أماً، أو أختاً، أو أباً أو أخاً، وحين يصبحون زوجة وولداً ؟

(... إن المؤمن مكلف هداية أهله، وإصلاح بيته، كما هو مكلف هداية نفسه وإصلاح قلبه.

إن الإسلام دين الأسرة... ومن ثم يقرّر تبعة المؤمن في أسرته، وواجبه في بيته، والبيت المسلم هو نواة الجماعة المسلمة، والمجتمع المسلم، وهو الخلية التي يتألف منها، ومن الخلايا الأخرى ذلك الجسم الحي..

وواجب المؤمن أن يتجه بالدعوة أول ما يتجه إلى بيته وأهله، وواجبه أن يؤمّن هذه القلعة من داخلها، وواجبه أن يسد الثغرات فيها قبل أن يذهب بدعوته بعيداً).

نخلص من هذا كله، إلى أن المسلم مكلف شرعاً بالقيام على أمر الله في أهله، وأن أهله أولى بدعوته من الآخرين، وأن اهتمامه الأكبر يجب أن ينصرف إليهم، حتى يقيم أودهم، ويضعهم على طريق الإسلام علماً وعملاً، ودعوة والتزاماً، ثم ينطلق بعد ذلك في دعوته وقد أوى إلى حصن حصين، وركن شديد.

ونجد مصداق ذلك كلّه، في الحديث المتّفق عليه الذي يحدّد المسئوليّة بدقّة، ويضع حدودها بشموليّة فريدة، وهو ما يرويه عَبْدِ

الله بْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:

(كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)، قَالَ: " فَسَمِعْتُ هَؤلاءِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) [(١)].

ثمّ إن البيت المسلم من جهة أخرى، تجربة حيّة واقعية، يقدّمها المسلمون نموذجاً صالحاً للناس من حولهم، فيثبتون من خلاله سمو مبادئهم وجمال المجتمع الذي ينشدون، ونجاح دعوتهم، وواقعية مبادئهم وأفكارهم.

إن الناس يسمعون الكلام المزخرف المنمّق من أصحاب كل مدرسة واتجاه، ولكن حين يضيف المسلم إلى كلمته الطيبة، الصورة الواقعية الطيّبة، متمثلة في زوج، أو بنت، أوولد،

---

(١). رواه البخاري في كتاب الجمعة /٨٤٤/ وفي كتاب الاستقراض وأداء الديون /٢٢٣٢/، وفي كتاب العتق /٢٣٦٨/ و /٢٣٧١/ وفي كتاب الوصايا /٢٥٤٦/ وفي كتاب النكاح /٤٧٨٩/ و/٤٨٠١/ وفي كتاب الأحكام /٦٦٠٥/ ومسلم في كتاب الإمارة /٣٤٠٨/ وغيرهم.

فإنه سيكون قد فاق الآخرين، وأثبت للناس أن ما ندعو إليه ممكن من جهة، وجميل من جهة ثانية، وأننا ملتزمون بما نقول من جهة ثالثة.

إننا حين ندعو الناس إلى الإسلام، إنما نقول لهم بلسان حالنا قبل لسان مقالنا:

" إن الإسلام هو المنهج لحياتكم، والحلّ لمشكلاتكم، وهو السعادة والسكينة، والراحة والطمأنينة.. "

فكيف يتسنّى لنا أن نسعد الناس بالإسلام، إن لم نسعد به أنفسنا وأسرنا..؟

وكيف نستطيع أن نذيق الآخرين طعم السعادة بالإسلام، ونحن لم نذقها في بيوتنا، ومع أزواجنا وأولادنا..؟

إن فاقد الشيء لا يعطيه، وكلّ إناء لا ينضح إلا بما فيه، وأولى بنا أوّلاً أن نعيش السعادة بالإسلام في أنفسنا وأسرنا، ثمّ ندعو الآخرين إلى مثل ما نحن فيه..

كل ذلك وغيره، يجعل البيت المسلم نقطة عمل أولى في حياة الداعية، فهو فريضة شرعية، ومنطلق استراتيجي، وضرورة دعويّة، وعندما يسيّب الداعية بيته، ويترك الخلل يتسرب إليه، أو الفساد

يعيث فيه، فهو ولا بدّ، يقع في جملة من المخالفات الشرعية والدعويّة، تنعكس عليه، وعلى دعوته شر انعكاس.

. انعكاسات الخلل في بيت الداعية:

حين يكون الخلل في بيت الداعية، لا بد أن يخلّف انعكاسات متنوّعة، وآثاراً مفسدة، على عدّة جبهات ومستويات:

. أوّلاً: فعلى مستوى الداعية نفسه:

حين يعود الداعية إلى بيته ليستجمّ من وعثاء التعامل مع الناس، وليأوي إلى مملكته الخاصّة، وركنه الحصين، فيدخل بيته، فيجد الخلاف بينه وبين أهل بيته في كل شيء، بل في أحبّ شيء إليه، وأعزّ شيء عنده في المبادئ التي يدعو إليها، والسلوكيات التي يلتزم بها، ويأمر الناس بالتمسّك بها، ويسمع من القيل والقال، ويرى من المخالفات الشرعيّة، ما يقلق نفسه، ويشوّش باله، وينغّص عليه عيشه، ويجعله يحسّ بالإحباط، فيضعف عن نصرة الحقّ، ويغضي عن المنكر، ويستحيي من الأمر بالمعروف، إذ يشعر بالتناقض بين واقع أسرته، وطريق دعوته، ويحسّ من قرارة نفسه أنه يلاحقه قول

ربّه سبحانه: **{أتأمرونَ الناسَ بالبرِّ، وتَنسونَ أَنفسَكم، وأنتم تَتلون الكتابَ، أفلا تَعقلون ؟ !}** البقرة /٤٤/.

فكيف يمكن له بعد ذلك أن يكون إيجابياً معطاء حيويّاً نشِطاً.؟!

وإننا إذا عدنا إلى بيت النبوة، وحياة الداعية الأول ﷺ، نرى كيف كان يعود النبيّ ﷺ إلى بيته فيجد فيه الراحة والعزاء، والتثبيت والتخفيف، والسكينة والطمأنينة، من زوجه السيدة الفاضلة خديجة أمّ المؤمنين رضي الله عنها التي كانت أسرع الناس استجابة إليه، وأول الناس إيماناً به وتصديقاً، وكان لها الدور الرائد في نصرة الحقّ وتأييده، والوقوف إلى جانب النبيّ ﷺ، في تلك المرحلة العصيبة.

وتلك صورة متألقة، ما أحرى الدعاة أن يتاسّوا بها، في إعداد أسرهم، لتكون عوناً لهم على دعوتهم، وناصراً لهم على تحمّل تبعاتها.

. ثانياً: الانعكاس على المستجيبين:

وبعض الذين يستجيبون للدعوة، يتصورون الداعية وهذا تصور خطأ إنساناً كاملاً، مبرأً من كل نقص، تتحقّق الدعوة التي

يدعو إليها في حياته وحياة أسرته، بصورة مثالية فذّة، وهم إنما اتبعوه لإعجابهم به، أو لحبهم لأخلاقه وسلوكه.

ومن طبيعة الإنسان، أنه لا يزال في أول أمره متعلقاً بالشخص أكثر من تعلقه بالفكرة، فالفكرة لديه تتمثل في شخص الداعي، فإن شعر هؤلاء بالخلل الكبير في بيت الداعية، أو في تربية أولاده، أو في سلوك أسرته فسيصابون بخيبة الأمل، ويتساورهم الشك فيما يُدعون إليه، فينفضون أيديهم من الداعية، بل وربما من الدعوة نفسها.

. ثالثاً: انعكاسات الخلل على الدعوة، بشكل عام:

والخلل في بيت الداعية من وجهة ثالثة، سيخلف انعكاسات سلبية على الدعوة نفسها، وسيسمح للآخرين، أن يشككوا في واقعيتها أولاً وفي صدق رجالها ثانياً، بينما سيجد الذين يحسنون الظنّ منهم، المسوّغ لضعفهم، أو قعودهم، أو انحرافهم..

وكلّ ذلك فيه من العبء على الدعوة، والإثقال لها عن الانطلاق في أداء رسالتها ما فيه، مما لا يخفى على كلّ ذي بصيرة عاقل.

وما أسوأ أن يكون أبناء الدعوة عبئاً على دعوتهم، ومثبّطاً لها عن الانطلاق والتغيير.!

. من دلالات الخلل في بيت الداعية:

وبعد كل ما قدمناه، من كون الداعية ملزماً بإصلاح بيته، وبالقيام على أمر الله في أهله إلزاماً شرعياً ودعوياً، لم يعد بإمكاننا أن نتصور أن داعية يزعم أنه وقف نفسه للدعوة إلى الله، وخدمة دينه، ونشر شريعته، يرضى بوجود الخلل في بيته أو بتطرق الوهن والفساد إلى سلوك أسرته وأولاده، ولن يعفيه في هذا المقام تعلله بمشاغله الدعوية، فأهله أحق بوقته، وأولاده أولى بإصلاحه، حتى يقيمهم على الطريق، ثم يتفرغ للآخرين.

وإن وجد الخلل بعد كل ذلك في بيت الداعية، فإنه سيكون ذا دلالات متعددة متنوعة:

. فمن دلالات ذلك: العجز الدعويّ، والضعف في إيمان الداعية، ويقينه بدعوته:

إنّ هذا الخلل سيدلّنا على حقيقة أولية، هي عجز هذا الداعية وضعفه عن القيام بأعباء الدعوة، وتحمل مسؤوليتها، والقيام بأمر الله فيها؛

فكيف يُصلح البعيد من عجز عن إصلاح القريب.؟

وكيف يقود الغريب من عجز عن قيادة الزوج والولد.؟

وإن الإسلام يفرض على كل مسلم نصيباً من الرعاية، ويحمّله قدراً من المسؤولية، ولا يمكن أن ينجح في الكبرى من أخفق في الصغرى، ولا يمكن أن يسوس الأصعب من استعصى عليه الأسهل.

وعلى هذا، يمكن أن يعتبر إخفاق الداعية في رعاية بيته مؤشر إخفاق عام في الروح القيادية لديه، وفي الأهليّة لتحمّل المسئوليّة، مما يجعل القيادة التي ترغب في إسناد أيّة مسؤولية إليه تفكر أكثر من مرة:

. تفكر أولاً، في صلاحيته كفرد جادّ، في استجابته للدعوة، وولائه لها، وحماسته الصادقة للفكرة.

. **وتفكر ثانياً**، في صلاحيته كعضو سويّ وهو يعيش الإخفاق في قيادة بيته، ورعاية أسرته.

. **وتفكر ثالثاً**، حين تضع إنساناً، فيه ثلمة دعوية، في موضع القدوة والأسوة، وما أظن قيادة تحرص على الوفاء بحقّ المسئولية، وتقدر الأمانة حقّ قدرها، تلجأ إلى إسناد مسئولية لهذا الإنسان، إلا مضطرة مكرهة، وفي ظروف استثنائيّة، لقلة في الرجال، وزحمة في الأعمال، وليس على المكره والمضطرّ من حرج.

. **الدلالة الثانية: تمرّد الطبع، وسوء السلوك:**

وهي دلالة تغلب على كثير من أدعياء الإسلام، وحملة النصوص، سوء أخلاق الإنسان في بيته، ولا نقول: الداعية لأنه إن انطبق عليه هذا الكلام سقط من صف الدعاة أصلاً.

وهذه الدلالة، تشمل نوعين من الناس:

. **النوع الأول**: من يكون في بيته زِمّيتاً متشدّداً يسيء معاملة أهله، فيرتفع صوته، ويشتدّ صخبه، ويشاجرهم في كل أمر من أمر نفسه، وفي شتى شئون عيشه، يقيم الدنيا لطعامه، ويقعدها لشرابه،

ويحملهم على ما يريد بكل فظاظة وغلظة، ولا يفتأ يصدر الأوامر تلو الأوامر، وأولى له أن يسمع قوله تعالى:

{ولو كُنتَ فَظّاً غليظَ القلبِ لانفضُّوا مِن حولِك} آل عمران / ١٥٩ /.

وأن يسمع حديث الرسول ﷺ (**أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلقاً، وخيارُكم خيارُكم لنسائهم**) [١].

وأولى بمثل هذا النوع من الناس، أن يعكف على إصلاح نفسه أولاً، تهذيباً وتقويماً وكسراً لجماحها الطاغي، وتليينا لطبعها الجافي قبل أن يخرج على الناس بدعوى الانتساب إلى الدعوة، والتبشير بالفكرة..!

فما أقبح العلّة في الأطبّاء.! بلى.! وأقبح منها، أن يحسب المرء نفسه بريئاً من العلّة، معافى من الشرّ، والشرّ ينخر في كيانه، والسوء يرتع في بنيانه..!

(١) . رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

. وما أحسن ماقيل:

وغيرُ تقيّ يأمرُ الناسَ بالتقى
طبيبٌ يُداوي الناسَ وهو سقيمُ
ياأيها الرجلُ المعلّمُ غيره
هلاّ لنفسِك كان ذا التعليمُ
ابدأ بنفسِك فانهها عن غيّها
فإذا انتهت عنه فأنتَ حكيمُ
فهناك ينفعُ ما تقولُ ويُقتدى
بالفعلِ منك، ويَنفعُ التعليمُ
لا تنهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثله
عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

. وقال بعض العلماء، يشير إلى ضرورة توافق القول مع العمل والسلوك:

أستغفرُ اللهَ من قولٍ بلا عملٍ
فقد نسبتُ به نسلاً لذي عُقُمِ

. ومما ينبغي التنبيه إليه أيضاً، أن بعض من ينتسبون للدعوة، ويعتزّون بها، إن لقيتهم خارج بيوتهم، فهم اللطف والودّ، والأنس

والبشاشة، والرضا والابتسام، ثم إن دخلوا بيوتهم، قطّبوا وجوههم، وعبسوا وبسروا، وتجهّموا وتوعّدوا، وأغلظوا القول، وأسمعوا الفحش، أو حركوا العصا، واشتدّ منهم البطش...

ولعلّهم يعتبرون ذلك رجولة، أو قد يراه بعضهم ديناً من الدين، **والسيدة عائشة رضي الله عنها، تروي عن رسول الله ﷺ** قدوة المؤمنين و**سيد الرجال، أنه كان يكنس بيته، ويرقع ثوبه ويخصف نعله، ويكون في مَهنة أهله (أي خدمتهم) فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.**

فالداعية الحق، هو الذي يعطي أهله ما يشاءون من دنياه، ليأخذ منهم ما شاء لدينه ودينهم، ويبلغ بهم ما يشاء، بحكمته ورفقه ولطفه، {ومن يؤتَ الحكمةَ فقد أُوتي خيراً كثيراً} البقرة / ٢٦٩/.

. والنوع الثاني: من يكون منتمياً إلى الدعوة ظاهرياً، ولكنه في بيته، وفي خاصة نفسه مخالفاً لدعوته، مناقضاً لما يزعم أنه يؤمن به، لا يراقب الله، ولا يرعى شعيرة من شعائره، وإنما هو مظهر من مظاهر الإسلام خارج البيت.

وقد يبدو هذا الاتجاه غريباً أو شاذاً، ولكنه الواقع المرّ في نفر، قد التزموا الدعوة إلى الله ظاهراً، وظنّوا أنها باب من أبواب الدعاوى والتبجّح بالقول ومع أنهم لم يحملهم على ذلك مغنم عاجل، في ظاهر الأمر، ولكنّه الضعف والتراخي، وركوب أمواج التبرير والتأويل، واتّباع الفتاوى والترخيصات، ولمثل هؤلاء يتوجّه قول الله تبارك وتعالى:

{يأيُّها الذينَ آمنُوا لمَ تقولونَ مالا تفعلون، كبُر مقتاً عندَ اللهِ أن تقولوا مالا تَفعلُون ؟!} الصفّ / ٢ ـ ٣ /.

وقوله عزّ من قائل: **{أتأمرون الناسَ بالبرِّ، وتنسونَ أنفسَكم، وأنتم تتلون الكتابَ أفلا تعقلون ؟!}** البقرة /٤٤/.

ولكن الراصد لواقع أسر هؤلاء، لا يمكنه إلا أن يذكر هذا مع الألم والأسف، فكم ممن انتسب للدعوة، ولا سيما أصحاب الماضي التليد فيها، يظنّون أنفسهم حين يلقون محاضرة، أو يكتبون مقالاً أو يعطون رأياً، أو يحضرون لقاءً، أنهم قد بلغوا قمّة العمل الدعوي، وأنهم قد جاهدوا في الله حق الجهاد، وأنهم فوق عبادة العابدين، وتسبيح المسبحين، وتلاوة المتهجدين، وأن غير ما هم فيه، إنما هو

من نافلة القول والعمل، لا يقدّم في خدمة الإسلام ولا يؤخّر، ولا ينفع ولا يدفع.

وتراهم قد اقتصروا على الفرائض فأدّوها، وما أقاموها، بلا حضور قلب، ولا خشوع لبّ ولاحظ أولادهم ذلك منهم، ورأوا فيهم التقصير والتفريط، فرتعوا كما رتع آباؤهم، وإذا استقام أبناؤهم فإنهم لن ينظروا إلى آبائهم نظرة التأسّي، ولن يروا آباءهم أهلاً للطاعة في شيء.

وأخيراً: لا بد لنا أن نذكر، أن الخلل في بيت الداعية، قد يكون مبعثه سوء متأصل، في نفس الزوجة أو انحراف جامح في نفس الولد، فيكون الداعية قد قام بأمر الله، وقضى ما عليه، ولكن الله سبحانه وتعالى، جعل له من أهله محنة يمتحنه بها، ليرى حبّه في الله، وبغضه في الله، ومثل هذا الداعية لن يضيره فعل زوجة ولا انحراف ولد، وهو معذور عند الله، وعند الناس بل ومأجور ما دام صادق الغيرة، دائم الحرقة، يبرأ مما يبرأ الله ورسوله ﷺ منه: {**فلما تبيّن له أنّه عدوّ للهِ تبرّأَ منه، إنّ إبراهيمَ لأوّاهٌ حليمٌ**} التوبة / ١١٤.

وفي مثل هؤلاء يأتي قول الله تعالى: {**لا تجدُ قوماً يُؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ يُوادّونَ من حَادّ الله ورسولَه، ولو كانوا آباءَهم أو أبناءَهم أو إخوانَهم أو عَشيرتَهم، أولئكَ كَتبَ في قلوبِهِمُ الإيمانَ وأيّدَهُم برُوحٍ منهُ..**} المجادلة / ٢٢ /.

وقوله تعالى: {**ضربَ اللهُ مثلاً للذينَ كفروا، امرأةَ نوحٍ وامرأةَ لوطٍ، كانتا تحتَ عبدينِ مِن عبادِنا صالحينِ فخانتاهما، فلم يُغنيا عنهما من اللهِ شيئاً، وقيلَ: اُدخلا النارَ معَ الداخلين**} التحريم /١٠/.

وقول الله سبحانه: {**قال: ربِّ إنَّ ابني مِن أهلي... قال: يانوحُ إنَّه ليسَ مِن أهلِك إنَّه عملٌ غيرُ صالحٍ...**} هود /٤٥ . /٤٦.

وبعد؛ فما أحوجَ عباد الرحمن، الدعاة إلى منهجه ودينه، أهل الغيرة على دعوته وحرماته، أن يبتهلوا إلى الله تعالى دائماً:

{**ربَّنا هَب لنا مِن أزواجِنا وذرّياتِنا قرّةَ أعيُنٍ، واجعلنا للمُتّقِين إماماً**} الفرقان /٧٤/، وأن يستعينوا بالله تعالى وحده، على صلاح أمرهم كلّه، ويتوكّلوا عليه، ويكثروا من دعائه والضراعة إليه:

{**إن أُريدُ إلاّ الإصلاحَ ما استطعتُ، وما توفيقي إلاّ باللهِ، عليهِ توكّلتُ وإليهِ أُنيبُ**} هود /٨٨/.

هذا، والله تعالى أعلم، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد، وعلى آله وأصحابه، وأنصاره وأحبابه إلى يوم الدين، والحمد لله ربّ العالمين.

تمّت

الرسالة الثانية

دستور

الأسرة المسلمة

في ضوء الكتاب والسنّة

تمهيد

إن للتربية القويمة أهميتهاالقصوى في صلاح الجيل واستقامة سلوكه، فإذا منح الطفل أبوين مؤمنين عاقلين، حكيمين فاضلين، تقيين صالحين رباه علىالخلق القويم، والنهج السليم، وحب الفضيلة والدين.

ثم إذا واتته المقادير، فساقته إلى المعلم الصالح والمربي الحكيم، نشأ علىأحسن الأخلاق وأزكى العادات، صحيح العقيدة، صادق التدين مستقيم السيرة، طيب السريرة.

وإذا لم ينشأ الطفل في أسرة متدينة، ولم يحظ بالمعلم الصالح، نشأ سيء الخلق، فاسد الطبع، بذيء اللسان، منحرف الجنان.

فالطفل صحيفة بيضاء نقية في أيدي أبويه ومن يربيه، فإذا نقشوا فيه صالحا نشأ صالحا، وإن نقشوا فيه سيئاً فاسداً نشأ على السوء والفساد.

وقد جعل الله تعالى رعاية كل جيل بيد من ينشئه ويربيه، فرعاية البنين والبنات في أيدي الآباء والأمهات، فهم أمانة في

أعناقهم، يجب عليهم أن يحسنوا رعايتها، وهم مسئولون عن نشأتهم وسيرتهم واستقامتهم.

هذا وإن منهج التربية الاسلامية منهج رباني عملي، يتميز عن كل مناهج التربية القديمة والحديثة ونظرياتها، وهي مناهج متخبطة تائهة، لا أساس لها من خلق أو دين، والمسلم الحق غني بدينه الحق عن نظريات منشؤها الظنون والأوهام ومناهج منحرفة ملتوية، أوردت مجتمعاتها موارد التفسخ والانحلال.

وقد انساق كثير من المسلمين وراء ما يروجه أعداء الاسلام من دعوات هدامة، يراد من ورائها إضعاف المسلمين، وإحكام سيطرة عدوهم عليهم، من ذلك الترويج لفكرة " **تحديد النسل** " وهي ليست من هدي الاسلام في شيء وهي فكرة خبيثة، تعد أثرا من آثار طغيان المادية التي سيطرت على الأفراد والمجتمعات، والمؤمن يعتقد أن الرزق مقسوم، وأن الحق سبحانه قد تكفل برزق مخلوقاته كلها، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها.

ففي الحديث الشريف الصحيح، عن الجنين في بطن أمه: (... **ثم يرسل إليه الملك، وينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وعمله وأجله، وشقي أو سعيد....**) [١].

فعلى المسلم قبل أن يحمل فكرة، أو ينساق في تيار دعوة، أن يعرف موقف الاسلام منها، ويميز خيرها من شرها، وينظر فيمن يدعوه إليها أهو عدو ماكر أم صديق ناصح ؟!

فالعدو إذا دعانا إلى" **تحديد النسل** " إنما يدعونا إلى سبب من أسباب الضعف، الذي يبقينا في أسر سيطرته مدى الحياة.

فمن هنا كان من الحتم اللازم على جميع الآباء والأمهات والمربين، أن يكونوا على علم وبصيرة،وفقه ووعي، بمنهج التربية الاسلامية، بأصوله ومبادئه وخطواته العملية، ليؤدوا حق الأبناء عليهم، ويسلكوا بهم النهج الأقوم، فينالوا جميعا رضوان الله تعالى، ويحظوا بسعادة الدارين.

---

(١). رواه البخاري في كتاب بدء الخلق /٢٩٦٩/ وفي كتاب أحاديث الأنبياء /٣٠٨٥/ وفي كتاب التوحيد /٦٩٠٠/ ومسلم في كتاب القدر /٤٧٨١/ والترمذي في كتاب القدر /٢٠٦٣/ وأبو داود في كتاب السنّة /٤٠٨٥/ وأحمد /٣٤٤١/ و/٣٨٨٢/.

وإن أمر التربية خطير دقيق، تقصر عنه عقول كثير من الآباء والأمهات، فقد يعتبر كثير منهم أن التربية لاتبدأ إلا إذا بلغ الطفل سنّا معينة هي سنّ التمييز أو ما بعدها، وهذا خطأ فادح يقعون فيه، فيقصرون في تربية أطفالهم في الصغر فينشأ الأطفال على عوج، ثمّ يعجز الآباء والأمهات بعد ذلك عن تقويم العوج، فينشأ الجيل ضعيف الإيمان، هزيل الطاعة، جريئا على المعصية والمخالفة، سيء الأخلاق والطباع.

ومن عجيب أمرهم بعد هذا أنهم ينهالون عليهم باللائمة، واللوم عليهم لو علموا، لا على الجيل الذي ترك هملاً بلا تربية صالحة، ولا توجيه حسن، ومن كلام السلف: " **لولا المربي ما عرفت ربي** ".

. يقول الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى:

" إن الطفل أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش فيه، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم

له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة مربيه، والقيّم عليه.. ".

هذا وإن إهمال تربية البنين والبنات يجعلهم شرا ووبالاً، وحسرة وخسراً، على والديهم أولاً ثم على مجتمعهم وأمتهم ثانياً، وعلى أنفسهم أولاً وآخراً، قال تعالى:

{قل: إنّ الخاسرينَ الذين خَسِرُوا أنفسَهم وأهلِيهم يومَ القيامةِ} الزمر /١٥/.

وقد بين الله سبحانه أن الأولاد فتنة واختبار لوالديهم، فقال سبحانه: **{واعلمُوا أنما أموالُكم وأولادُكم فِتنةٌ، وأنّ الله عندَهُ أجرٌ عَظيمٌ}** الأنفال /٢٨/.

فالمال والبنون فتنة للناس وبلاء واختبار، إذ قد تحمل الناس على الكسب الحرام، ومنع حق الله تعالى.

. فمن الفتنة بالأولاد أن يُلهى الآباء والأمهات بهم عن طاعة الله، والاستجابة لأمر الله..

. ومن الفتنة بالأولاد إقرارهم على المعاصي والسكوت عنهم في القعود عن الطاعة، وإعطاؤهم المال، ينفقونه في المفاسد والمعاصي والآثام..

. ومن الفتنة بالأولاد تعلق القلب بهم، ولاسيما إذا كان الولد وحيداً، فذلك مذموم، لأنه مضرّ بالولد إذا شعر به، إذ يحمله على التمرّد والشطط، وهذا خطر عليه في أمر دينه ودنياه.

{ربَّنا هَب لنا مِن أزواجِنا وذرّياتِنا قُرّةَ أَعيُنٍ، واجعلْنا لِلمُتّقِين إماماً}.

. ما ينبغي على الزوجين فعله في مرحلة ما قبل الزواج، وفي سنّ المولود المبكرة:

١ . أن يحسن الرجل اختيار الزوجة، بأن تكون ذات أصل كريم، من جهة أبويها، عاقلة تقية صالحة، لأن الولد فرع لها، وللفرع حكم الأصل، والفرع بأصله يطيب.

. وكذلك أن يحسن أولياء المرأة اختيار الزوج، فيختارون لموليتهم صاحب الخلق والدين ويتحرّون في البحث والسؤال عن الخاطب.

٢ . وأن يأكل من الحلال، ويطعم زوجته منه، لأن النطفة تنشأ من الدم، والدم ينشأ من الغذاء، وكل لحم نبت من سحت أي من حرام فالنار أولى به.

٣ . وأن يدعو بالمأثور عند الجماع... ويسأل الله تعالى أن يرزقه الولد الصالح، الذي يكون قوة للحق وأهله، ويعلق قلبه بالله تعالى في ذلك كله.

٤ ـ وأن تعلق الأم رجاءها بالله تعالى، عند شعورها بالحمل، أن يكون جنينها في المستقبل عالماً عاملاً، تقياً صالحاً، وتحدث نفسها بذلك ما استطاعت.

٥ ـ وأن تخالف الأم هواها في مشتهياتها أحيانا في أثناء الوحم، فالجنين جزء منها، ويتأثر مما تتأثر منه.

٦ ـ وأن يفعل بالوليد ما ورد في السنة [١]...

٧ ـ وتسنّ التهنئة بالمولود، وأن يحسن اسمه ويعق عنه يوم السابع، ويحلق رأسه، ويتصدق بوزن شعره ذهباً أوفضة.

٨ ـ ومما ينبغي العناية به تنظيم أوقات رضاع الوليد، فذلك مما يعود عليه بالصحة، ويعوّده النظام.

٩ ـ وأن تستحضر الأم في أثناء رضاعه، أن يمنّ الله عليها، بأن يكون ولدها عالماً عاملاً، تقياً صالحاً.

١٠ ـ وأن يعوّذ بما ورد في السنة...

١١ ـ ولا يجوز أن تعلق على الأطفال ولا غيرهم التمائم؛ من خرزة زرقاء ونحوها، اعتقاداً أنها تدفع العين، أو تحفظ من الضرّ

---

(١) ـ يرجع في تفصيل ذلك إلى كتاب تحفة المودود في أحكام المولود، للإمام ابن القيّم رحمه الله، وكتاب تربية الأولاد في الإسلام للشيخ عبد الله علوان رحمه الله.

والبلاء، فذلك حرام ومن عمل الجاهلية، واعتقاده باطل وجهل وضلالة، إذ لاضارّ ولانافع إلا الله، ولامانع ولادافع غير ذكره والتوكل عليه.

١٢ . وممّا تنبغي مراعاته العناية التامة بنظافة الطفل، في مأكله ومشربه، وفي بدنه وثيابه، وكل ماله علاقة به...

١٣ . وأن لايعطى الحلمة الصناعية الكاذبة تلهية له، لئلا تغرس في نفسه الكذب، لأنه إنما يعطاها إيهاماً له أنها ثدي أمه.

١٤ . وأن لايعود الهزّ في السرير، ولا على الأيدي، وأن لايحمل كلما بكى.

١٥ . وأن تعالج فيه الغيرة من أخيه الصغير أو أخته.

١٦ . وأن يكفّ عن اللعب ساعة بعد المغرب لأنها ساعة تنتشر فيها الشياطين، كما جاء في السنة.

١٧ . وعلى الأبوين أن يتفقا على منهاج التربية، لأن الاختلاف يضرّ بالطفل ضرراً بالغاً، وأن تكون معاملتهما إياه واحدة لاتختلف، فمن سوء التربية أن يكون هذا يوافق، وهذه تخالف، والأم تعطي، والأب يمنع، أو العكس.

١٨ . وليحذر الوالدان من تدخّل الجدّ، أو الجدة، ونحوهما من الأقارب، في تربية أولادهم تدخّلاً يخالف تربية الأبوين، ففي ذلك تخريب لما يبنيان.

. الاهتمام بغرس الآداب الإسلامية، وتعويد الناشىء عليها:

لابدّ للإنسان من عادات، يعتادها منذ صغره وينشأ عليها حتى تصبح جزءاً من شخصيته وحياته، لا يجد جهداً في التزامها وفعلها فالخير عادة، والشرّ عادة

والوالدان هما المسئولان المسئولية الكبرى عن غرس عادات الخير أو الشرّ، فإن هما أهملا مسئوليتهما، وفرّطا وضيّعا، تولّت البيئة المحيطة بالناشىء تلك المسئولية، ووجهت الناشىء وجهة الخير أو الشرّ.

وإن خير ما يغرس في نفس الناشىء الآداب الإسلامية، والسنن النبويّة، لتتشكّل شخصيته منذ الصغر وفق هدي الإسلام ومبادئه وأحكامه.

وإن من أخطر أسباب اختلاف الأبوين في تربية الأولاد عدم وضوح المنهج التربوي لدى أحدهما، فيختلف توجيهه عن الآخر، أو لا يكترث بتوجيه الآخر ولايكون له عوناً في تربيته وتقويمه.

فكان لابدّ من وضوح الآداب والعادات التي ينبغي على الوالدين غرسها في نفس الناشىء لتكون محل اتفاق بينهما، ولايكون عليها أي اختلاف أو نزاع.

فمن أهمّ تلك الآداب والعادات:

١٩ ـ أن يناول ما يعطاه باليد اليمنى، من مأكل أو مشرب أو لعبة، ليتعود الأخذ باليمنى، والإعطاء باليمنى، والأكل باليمنى من صغره.

وأن نلبسه ما نلبسه من ثوب أو قميص أو معطف أو سروال أو جورب أو حذاء، مبتدئين باليمين وأن ننزعها عنه حين ننزعها مبتدئين باليسرى ليتعود ذلك حين يلبس لنفسه وينزع لنفسه.

٢٠ . وأن ينهى عن النوم على بطنه، وأن يحوّل عن القبلة عند قضاء الحاجة، وليعلم الوالدان أن كل ما ينهى عنه المسلم في الكبر، يجب على أبويه أن يجنباه إياه في الصغر.

٢١ . وأن يجنب لبس القصير من الثياب والسراويل، لينشأ على ستر العورة والحياء من كشفها.

٢٢ . وأن يخالف هواه أحياناً، بمنعه ممّا يطلب من لعبة أو مأكل، ويعود الجواب من أبويه بقولهما: " نعم " فيفعل، أو قولهما: " لا " فيمتنع، راضياً غير ساخط.

٢٣ . وأن يمنع من مصّ أصابعه، وعضّ أظافره أو قطعها بأسنانه.

٢٤ . وأن يعوّد غسل اليدين قبل الطعام وبعده.

٢٥ . وأن يلاحظ في الاعتدال بالمأكل والمشرب، وتجنب الشره، والشبع المفرط.

٢٦ . وأن يعوّد أن يسمّي الله تعالى، عند البدء في الطعام والشراب، وأن يحمد الله تعالى عند الفراغ منهما.

٢٧ . وأن يأكل ممّا يليه، ولايبادر إلى الطعام قبل غيره.

وأن لا يحدّق النظر إلى الطعام، ولا إلى من يأكل معه.

وأن يجيد المضغ، ولا يسرع في الأكل.

وأن لا يوالي بين اللقم، ولا يلطّخ يديه ولا ثوبه بما يأكل.

٢٨ . وأن يعوّد الخبز القفار وحده بدون أدم معه أحياناً، حتى لا يرى الأدم حتماً لازماً.

٢٩ . وأن يأكل من الطعام ما وجد، ولا يتشهّى ما لايجد.

٣٠ . وأن يعوّد القناعة بإعطائه المشتهيات واحدة واحدة، وأن لا يمكن من ملء يديه منها.

٣١ . وأن يخرج النوى بيده اليسرى، ولا يجمع بينه وبين الثمر في إناء واحد.

٣٢ . وأن يعوّد نظافة فمه باستعمال السواك أو الفرجون المعروف، بعد كل طعام، قبل النوم وبعده، وعند الصلاة.

٣٣ . وأن يعود الامتخاط باليد اليسرى، وكذلك حمل الحذاء، والتقاط الاوساخ، والاستنجاء.

٣٤ . وأن ينهى عن العبث بأنفه.

٣٥ . وأن يحبب إليه الإيثار بالطعام والشراب وغير ذلك من المحابّ، ويعوّد إكرام إخوته وأقاربه الصغار، وأولاد الجيران، إذا رأوه يتمتع بشيء منها.

٣٦ . وأن لا يعوّد الخروج مع أمّه أو أبيه أو أخيه دائماً، كلما خرج أحدهم في حاجة، بل يوافق تارة، ويخالف أخرى.

٣٧ . وأن يعوّد النطق بالشهادتين، وتكرارها كل يوم مرات.

٣٨ . وأن يعوّد حمد الله تعالى بعد العطاس وتشميت العاطس إذا حمد الله تعالى.

٣٩ . وأن يعلّم كظم الفم عند التثاؤب، جاعلاً ظهر يده اليسرى على فمه، ولا يقول: ها.. ها.

٤٠ . وأن يعوّد الشكر على المعروف، مهما كان يسيراً.

٤١ . وأن لاينادي أمّه وأباه باسمهما، بل يناديهما بلفظ: " أبي، وأمّي ".

٤٢ . وأن لايمشي أمام أبويه، أو من هو أكبر منه في الطريق، ولا يدخل قبلهم إلى مكان تكريماً لهم واحتراماً.

٤٣ . وأن يعوّد السير على الطرف أو الرصيف الأيمن، لا في وسط الطريق، وينهى عن التلهي في الطريق، وعن الركض فيه، وعن التلفّت يميناً وشمالاً.

٤٤ . وأن لا يرمي الأوساخ في الطريق، بل يميط الأذىعنه، من حجر أو شوك أو عظم أو قشرة بطيخ أو موز ونحو ذلك.

٤٥ . وأن يبدأ من لقيه بالسلام بأدب واحترام ويردّ السلام كذلك.

٤٦ . وأن يلقن الألفاظ الصحيحة، ويعوّد النطق باللغة الفصحى بدون تكلف ما أمكن.

٤٧ . وأن يعوّد الطاعة إذا أمره أحد أبويه بشيء، أو من هو أكبر منه، فعلاً وتركاً؛ فإن في تربية الطفل علىطاعة أبويه وذويه منذ الصغر مراناً له على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، ومن تمرّد على أبويه وأقاربه، وتعوّد المخالفة في الصغر، استسهل مخالفة الله تعالى، ومخالفة رسوله ﷺ، والتمرّد على أوامرهما في الكبر.

٤٨ . وأن يعالج فيه العناد، بردّه إلى الحق طوعاً إن أمكن، وإلا فالإكراه على الحق خير من بقاء العناد والمكابرة.

٤٩ . وأن يشكره أبواه على امتثال الأمر واجتناب النهي، وأن يكافئاه أحياناً على ذلك، بما يحبّ من مأكل أو مشرب أو لعبة مباحة.

٥٠ . وأن يحبّب إليه اللعب المباح، ويكرّه إليه اللعب المحرّم أو المكروه.

٥١ . وأن يعوّد احترام ملكية غيره، فلا يمدّ يده إلى مال أحد أو حقه، ولو كانت لعبة أخته أو كرة أخيه.

٥٢ . وأن يتجنّب الأبوان الاختلاف في أيّ شأن أمام الأولاد، لأن ذلك يذهب هيبة الأبوين ويجرّىء الأولاد على المخالفة والتمرّد.

. وممّا ينبغي تعهّد الولد به، في سنّ التمييز من الآداب:

٥٣ . أن يعلّم في سنّ التمييز التوقّي من النجاسات، ويعلّم كيفيّة الاستبراء والاستنجا ء.

٥٤ . وأن يعلّم الوضوء بصورة عمليّة، مع ملاحظة ما يكثر وقوع الأخطاء فيه.

٥٥ . وأن يؤمر بالصلاة، ويعلّم كيفيّتها بصورة عمليّة، وتلاحظ صلاته بين الحين والآخر وتقدّم له الملاحظات والتوجيهات.

٥٦ . وأن يصحبه أبوه معه إلى المسجد لصلاة الجماعة، ويعرّفه حرمة المسجد وآدابه، وأن يدخل المسجد باليمنى، ويخرج منه باليسرى.

٥٧ . وأن يعوّد إجابة المؤذن، والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعد الآذان، ودعاء الوسيلة ويذكّر بذلك دائماً ليعتاده.

٥٦ . وأن يعلّم التسبيحات الواردة بعد كل صلاة مفروضة، ويتابع في المحافظة عليها.

٥٩ . وأن يؤمر بالصوم إذا قدر عليه، ولو في بعض أيام رمضان، ويشجّع على ذلك ويكرّم ببعض الهدايا والمشتهيات.

٦٠ . وأن تذكر له الجنة، وأنها دار المؤمنين الطائعين في الآخرة، ويذكر له ما فيها من أنواع النعيم،والأعمال والصفات التي يستحقّ بها المؤمنون دخولها بفضل الله ورحمته.

٦١ . وأن تذكر له النار وأنها دار الكافرين والعصاة في الآخرة، ويذكر له ما فيها من أنواع العذاب، والأعمال والصفات التي يستحقّ بها الكافرون والعصاة عذاب الله وعقوبته.

٦٢ . وأن يحفّظ ما تيسّر من القرآن الكريم من قصار السور ومقاطع القرآن المناسبة.

٦٣ . وأن يختار له من الأحاديث النبوية الشريفة ما يتناسب مع سنّه ومداركه، يحفظه ويردده ويؤمر بإلقائه أمام ذويه وأقاربه أحياناً.

٦٤ . وأن يقصّ عليه قصص الأنبياء، بأسلوب مناسب لمداركه وسنّه، ويحبّبه بحياتهم، ويروي له من حكايات الصالحين الواقعيّة الهادفة، ما يغرس في نفسه الفضائل،ومُثُل الإسلام الرفيعة.

٦٥ ـ وأن يؤكد عليه في أمر النظافة العامّة ولا يسامح بتسويد الجدران بقلمه.

٦٦ ـ وأن يستر إذا وقع في مخالفة، ولايكاشف بها من أول مرة، فإذا عاد إليها ثانية فينبغي أن يعاتب سرّاً، ويحذّر من الإصرار عليها.

وإذا تكرّر ذلك، فلا بأس بعرك أذنه، والتعبيس في وجهه، وإظهار الانزعاج منه، وأمره بالوقوف إلى الجدار دقائق عقوبة له.

٦٧ ـ وأن يهجره أبوه أوأمّه في الكلام أياماً ولا بأس أن يؤمر إخوته بذلك إذا دعت إليه المصلحة.

٦٨ ـ ولا بأس بالضرب غير المبرّح، إذا دعت إليه الحاجة أيضاً، فهو بمنزلة الدواء المرّ، الذي يجرّعه الطفل أحياناً للضرورة، فتقويم العوج بأيّ وسيلة كانت خير من بقائه والاستمرار عليه.

٦٩ ـ ولتحذر الأمّ من إعلان عجزها عن ولدها إذا عصاها، فإن ذلك يغريه بالمخالفة، ويشجّعه عليها.

٧٠ ـ وإذا تخلّف الطفل عن الاستجابة للخير أحياناً، فعلى مربّيه أن يستعمل معه أسلوب الترغيب والترهيب، فيرغّبه في الفضيلة، ويعده المكافأة عليها أحياناً، وإذا تخلّف عنها، خوّفه

العقوبة، فالإنسان مفطور على الرغبة والرهبة، ولهذا، أعدّ الله لعباده جنّة وناراً، وقدّر ثواباً وعقاباً.

٧١ ـ وليحذر الوالدان من رشوة الطفل في شأن من الشئون، مثل أن يقال له: خذ هذه الحلوى وافعل كذا وكذا، أو خذ هذه القطعة من النقود واكفف عن الضوضاء، لأن الطفل إذا عرف أن هذه العروض تتبع مخالفته للأوامر، كان من الطبيعيّ أن يعمل على الحصول عليها قبل تلبية كل أمر، بل إنه إذا تشبّث بموقفه فقد يكون كسبه أكبر.

٧٢ ـ وأن يعوّد الخشونة في المأكل والمشرب والمفرش، ويعوّد المشي والحركة والرياضة، حتى لا يغلب عليه الكسل.

٧٣ ـ وأن يؤذن له بعد الانصراف من المدرسة أن يلعب لعباً هادفاً، يروّح فيه عن نفسه من عناء الدرس، لأن منع الصبيّ من اللعب يميت قلبه، ويبطل ذكاءه وينغّص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه.

٧٤ ـ وأن يراقب في لعبه، ليرشد إلى الاتزان فيه والاعتدال.

٧٥ ـ وأن يعوّد الاستقلال الذاتيّ، والشعور بالمسئوليّة في ترتيب لعبه وكتبه، وكل ما يتعلّق به، وأن تعوّد الطفلة الاستقلال

الذاتيّ، والشعور بالمسئوليّة في ترتيب ما يتعلّق بها، والقيام بأعمال البيت، وترتيب أثاثه، والمحافظة على نظافته.

٧٦ ـ وأن لا يقارن بين طفل وآخر ، فيمدح أحدهما، ويذمّ الآخر، على مسمع منهما، ولابين طفلة وأخرى، فقد تكون الفوارق التكوينيّة بينهما مختلفة، والمواهب متفاوتة ، فيؤثر ذلك في معنويّات الأطفال، ويوهن شخصيّاتهم.

٧٧ ـ وأن ينهى عن الافتخار على أقرانه بشيء من المطعم أو الملبس أو الأدوات، بل يعوّد التواضع والإكرام لمن عاشره، والتلطف معهم في الكلام.

٧٨ ـ وأن يمنع من أخذ شيء من الصبيان ويعلّم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ.

٧٩ ـ وأن لا يخرج بالفاكهة ونحوها حيث يراه الأطفال من أقارب أو أولاد الجيران، إلا أن يعطيهم منها لأن رؤيتها تحرّك فيهم الرغبة إليها، وقد لايجدون والحرمان يؤذيهم.

٨٠ ـ وألا يسمح له بالخروج إلى الشارع، ولا بالوقوف على باب الدار، لأن ذلك يعرّضه للضياع من جهة، ولسماع ألفاظ السوء والبذاء من أبناء الشارع.

٨١ ـ وأن يحثّ على الإنفاق ممّا معه، وألا يتعلّق قلبه بالمال منذ الصغر، ويقوّى ذلك في نفسه كلما شبّ وترعرع.

وإن ما اعتاده بعض الأطفال من اقتناء حصّالة للنقود حسن من جهة، ليتعوّد حفظ المال فلا يضيّع كل ما يصل إليه منه في شراء اللعب والمشتهيات، وخطير من جهة أخرى، إذ يحبّب إليه المال، ويعوّده الشحّ به.

فإن كان ولابد، فليعوّد الإنفاق منه أحياناً في شتى وجوه البرّ.

٨٢ ـ وأن لا يمكّن من فعل شيء خفية، فإنه لا يخفيه إلا لاعتقاد السوء فيه، فإذا فعل ذلك وغفل عنه وليّ أمره، تعوّد السوء، واحتال له، وتمكّن في نفسه.

٨٣ ـ وأن لا يسمح له باعتياد الحلف بالله تعالى، صادقاً ولا كاذباً، وتبيّن له حرمة اليمين بالله تعالى، وعظم شأنها.

٨٤ ـ وأن يجتنب الفضول، ولا يتدخّل فيما لا يعنيه، من قول أو فعل.

٨٥ ـ وأن يجتنب لغو الكلام وفحشه، واللعن والسبّ، ومخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك.

٨٦ ـ وأن يعوّد قلّة الكلام، ويحذّر من كثرته

٨٧ ـ وأن يعوّد حسن الاستماع إذا تكلّم غيره، ولا يقطع عليه الحديث، ولا يتشاغل عنه.

٨٨ ـ وأن يقدّم من هو أولى منه بالكلام، وبخاصّة إذا كان أحد والديه أومن هو أكبر منه.

٨٩ ـ وأن يعوّد السكون عند حضور ضيف وعند إقامة الصلاة، وينهى عن المرور بين أيدي المصلّين.

٩٠ ـ وأن يكرم القادم إليه، وبخاصّة إذا كان أكبر منه سنّاً، أو أرفع قدراً، فيؤثره في المكان أو يوسّع له فيه، ويتأدّب في مجلسه.

٩١ ـ وينبغي تحذير الطفل من معلّمي السوء في المدارس، وسؤاله عمّا يلقى إليه فيها، لتثبيت الصواب ونفي الخطأ.

٩٢ ـ وأن يمنع الطفل المميّز من الدخول على النساء الأجنبيات، ومن مصافحتهنّ، كبنت العمّ وبنت العمّة، وبنت الخال وبنت الخالة، وزوجة الأخ.

٩٣ ـ وأن تعوّد البنت الحجاب منذ سنّ التمييز، فلا يؤذن لها بالدخول على الرجال الأجانب ولو كانوا من أقاربها، لتتعوّد الحجاب منذ الصغر، وليغرس في نفسها أن الحجاب من شأن المرأة، وأن تمنع من مصافحة الأجانب، أو الخلوة بهم.

٩٤ . وأن ينفّر الطفل من لبس الذهب أو الحرير الأصليّ، وما يختصّ بالمرأة من زينة أولباس ويعرّف أن ذلك حرام على الرجال.

٩٥ . وأن يعوّد الصدق ومجانبة الكذب، في الجدّ والهزل، وفي جميع الأحوال، لأن الصدق من أمّهات الفضائل، كما أن الكذب من أمّهات الرذائل، وأسوأ ما يعتاده الإنسان الكذب، لأنه يرى من هو أكبر منه يكذب، فيهون عليه ذلك.

وكثيراً ما يشكّ الأب في صدق الأمّ أو الأمّ في صدق الأب، في أمر من الأمور، على مسمع من الطفل، فيتصوّر وقوع الكذب من أمّه أو أبيه.

وقد يشرك الأب ولده في مخادعة أمّه، وتشرك الأمّ ولدها في مخادعة أبيه، فيطلب أحدهما من ابنه أن لا يخبر الطرف الآخر بكذا وكذا، وإذا سأله عنه أن ينكر، وهذا من أسوأ ما يفسد تربية الناشىء، ويفكّك روابط الأسرة.

٩٦ . وينبغي أن لا يكلّف الطفل مالا يطيق جسماً، كتكليفه أن يحمل حملاً ثقيلاً، ولا ما لا يطيقه عقلاً، كتحفيظه من العلوم مالا يدركه ولا يفهمه.

٩٧ . وأن يربّى على التوكّل على الله وحده والاعتماد عليه سبحانه في كل شأن، وسؤاله ودعائه فيقال له: إن الله تعالى هو

الذي يرزقنا، وهو الذي يعافينا، وييسّر أمورنا، ويوفّقنا لما يحبّ، وهو الذي بيده الخير كله، فينبغي أن نلجأ إليه، ونتوكّل عليه، ونأخذ بالأسباب المشروعة؛ فنسعى في طلب الرزق ونستعمل الدواء عند المرض، ونجاهد أنفسنا على تقوى الله، والعمل بما يرضيه.

٩٨ . وينبغي أن يعوّد الطفل النظام والانتظام في جميع شئونه، وينهى عن الفوضى والإهمال، والتسيّب والاستهتار، ومزاحمة الناس وتجاوز حقّهم.

٩٩ . وأن يربّى على الجرأة والشجاعة، والثقة بالنفس والإقدام، ولا يسمح لأحد بتخويفه بالأكاذيب والأوهام، ويعوّد على الخروج ليلاً وحده لقضاء حاجته، وعلى النوم وحده، والبقاء أحياناً وحده

١٠٠ . وأن ينزع من نفسه الخوف من الحشرات، ويشجّع على قتلها مرة بعد مرة.

١٠١ . وأن يعوّد على حلّ مشكلاته بنفسه وألا يلجأ إلى من هو أكبر منه إلا عند الضرورة.

١٠٢ . وأن يحفظ سمعه من حكايات الفحش والإجرام، والتعدّي والأذى، لئلا يتجرّأ على مثل ذلك.

١٠٣ . وأن يجنّب اللعب بالميسر، وتبيّن له أضراره ومفاسده، وقد كثرت أنواعه اليوم، ومنها أوراق اليانصيب، ولو كان بدعوى أنه خيريّ، فهو من الميسر المحرّم.

١٠٤ . ويجنّب الطفل دور السينما محافظة على دينه وأخلاقه، فإن أكثر ما يعرض في هذه الدور الوضيعة أفلام اللصوصيّة والجريمة، والخلاعة والمجون ممّا يثير الغرائز الجنسيّة، ويفسد الأخلاق، ويقتل الرجولة.

وحسبك دليلاً على ما نقول، هذه اللافتات التي تعلّق على أبوابها، وفي الشوارع العامّة، تعلن عن أفلامها الساقطة، بصور عارية وأوضاع خبيثة مخزية يندى لها جبين الفضيلة والشرف.

١٠٥ . ويجنّب كذلك مشاهدة أفلام الفيديو التي لا تقلّ فحشاً وفساداً عن أفلام السينما.

١٠٦ . وليحذر الوالدان والمربّون، من التناقض في تربية الطفل، يأمرونه بالصدق مثلاً ويكذبون، وينهونه عن التدخين، ويدخّنون، ويأمرونه بالشيء مرة، وبضدّه مرة أخرى، فيتبلبل في معرفة حسن ما أمر به، أو قبحه، وخيره أو شرّه.

١٠٧ . ولاينبغي للوالدين والمربّين أن يعاملوا الطفل والناشىء معاملة واحدة على اختلاف مراحل نموّه، وما يمرّبه من تقلّبات نفسيّة وجسميّة وعقليّة.

فمعاملة الطفل في سنوات عمره الأولى، تختلف عن معاملة الطفل المقارب للتمييز وما بعده، والناشىء المراهق للبلوغ، تختلف معاملته عن البالغ الراشد.

١٠٨ . وينبغي للأب أن يخصّص وقتاً يجلس فيه إلى زوجته وأولاده، يؤنسهم ويسلّيهم ويعلّمهم ويربّيهم، ويقصّ عليهم حكايات توجيهيّة مسلّية.

. وعندما يكون الطفل في سن المراهقة:

١٠٩ . ينبغي أن يملأ فراغه بما يعود عليه نفعه من المطالعة والدرس، أو العمل اليدوي الذي يوجّهه إلى إتقان صناعة من الصناعات، فملء الفراغ شاغل عن خواطر السوء، أو صرف الوقت فيما لا يجدي.

١١٠ . وأن تقوّى رغبته في تلاوة القرآن الكريم، والأحاديث النبويّة الشريفة، والسيرة العطرة وحياة الصحابة، والسلف الصالح.

فكثيراً ما يدفع الناس إلى العمل الجليل حكاية يسمعونها عن رجل عظيم، أو حادثة يسمعونها عنه.

١١١ ـ وأن لا يسمح له بقراءة كل قصّة، ولا مطالعة كل كتاب، بل تختار له الكتب العلميّة الصحيحة والقصص الأخلاقيّة الصالحة.

١١٢ ـ وأن يحذّر من الاغترار بعقله وفهمه فيحرم الانتفاع بعقول الناس وأفهامهم، ويقع في الاستبداد برأيه، ويكثر خطؤه، ويقلّ صوابه.

١١٣ ـ وأن يحبّب إليه اتّباع السنّة النبويّة، والآداب الإسلاميّة، وينفّر من الابتداع في الدين وتقليد الأجانب، لينشأ على حبّ السنّة، وكراهة البدعة، ومخالفة غير المسلمين في أزيائهم ومظاهرهم.

١١٤ ـ وأن يذمّ عنده المخنّثين من الرجال ويبيّن له أن من التخنّث حلق الرجال لحاهم، ويرغّب في إطلاق لحيته متى ظهر شعر وجهه.

١١٥ ـ وأن يذمّ عند البنت النساء المترجّلات اللاتي يلبسن لبسة الرجال، ويظهرن مظهر الرجال، ويقلّدنهم.

١١٦ ـ وأن يختار الوالد لولده رفاقاً صالحين مهذّبين، ويحذر عليه، ويحذّره من صحبة رفاق السوء فعدوى الأخلاق أشدّ فتكاً من عدوى الأمراض.

وصحبة الأخيار تربّي الخير في نفوس من يصاحبهم، لأن الإنسان مولع بالتقليد، فكما يقلّد من حوله في أزيائهم، يقلّدهم في أعمالهم، ويتخلّق بأخلاقهم.

ـ وبعد بلوغ الناشىء:

١١٧ ـ وإذا بلغ الناشىء سنّ النكاح، واستوى واشتدّ عوده، وأظهر رغبة في الزواج، فينبغي أن يختار له أبواه الزوجة الصالحة.

١١٨ ـ وإذا بلغت البنت سنّ النكاح، فينبغي أن يختار لها أبوها الزوج الصالح، ولا ينتظر من يأتيها من الخاطبين، فقد يغفل عنها الخاطب الصالح، ويخطبها غير الصالح.

١١٩ ـ وينبغي أن يوجّه الشابّ لتكوين مثل أعلى، يسعى لتحقيقه، ويوجّه أعماله للوصول إليه، وذلك لأن الإنسان في هذه الحياة كقائد السفينة، في البحر المتلاطم الأمواج، لا يمكن أن يصل إلى المرفأ حتى يعرف أين المرفأ، ويرسم الخطّة للوصول إليه، وإلا

تنكب الطريق السويّ الموصل إليه، وكانت سفينته عرضة للارتطام، أو الضياع والهلاك.

وكذلك الإنسان في هذه الحياة، تحيط به قوى مختلفة؛ شهوات تتجاذبه، وصعوبات تعترضه ومؤثّرات متباينة، فإن لم يحدّد غرضه، ويعيّن مثله الأعلى، تقسّمته هذه القوى، واضطربت مسالكه وضاعت حياته سدى.

١٢٠ ـ ومن أهمّ ما ينبغي أن يراعى في أمر التربية، أن يكون الأبوان قدوة صالحة لأولادهم، وأسوة حسنة لهم، في الأقوال والأفعال والأخلاق لأن كل ما يقال أو يفعل أمام الطفل، إنما هو من تربيته. هذا، والله تعالى أعلم، وصلّى الله على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

أثر المثل الأعلى
في تربية الأجيال، وصنع الرجال

. ماذا نعني بالمثل الأعلى:

إن **المثل الأعلى** هو الشخصيّة التي تتحلّى بمجموع صفات عالية، تجذب الناشئ إليها، وتدعوه إلى التأسّي والاقتداء.

أو هو: تألّق فذّ في صفة من الصفات أو موهبة من المواهب، تجعل الإنسان محلّ الإعجاب من الآخرين، وتدعوهم إلى التأسّي والاقتداء.

. والتطلّع إلى المثل الأعلى، حاجة فطريّة، وضرورة إنسانيّة، تنبع من فطرة الإنسان في التمييز بين الخير والشرّ، وحبّ الخير والانجذاب إليه، والتطلّع إلى الكمال، والحرص عليه، وكره الشرّ وتجنّبه، والأنفة عن النقص والنفور منه.

. وأوّل ما يتجلّى **التطلّع إلى المثل الأعلى** في حياة الطفل، في نظره إلى والديه، ومحبّته الشديدة لهما، وإعجابه بهما، فيراهما قدوة له في كلّ شيء.

. وكلّما كبر اتّسعت مفاهيمه عن الحياة، وازداد إدراكه لمعاني الحقّ والخير، وتذوّقه للجمال، فيزداد تطلّعه إلى المثل الأعلى، وقد تنزل منزلة والديه أو أحدهما عن ذلك، عندما يراهما لا يتحقّقان بهذه المعاني.

. ورحلة الإنسان في البحث عن المثل الأعلى، والتطلّع إليه شاقّة عسيرة، إذ كثيراً ما يصدّه عن ذلك الظنّ والهوى [١]، إلاّ أن

---

[١] . وقد لخّص القرآن الكريم أسباب شقاء الإنسان وضلاله في سببين رئيسيّين: الظنّ، في مقابل العلم، واتّباع الهوى، في مقابل اتّباع الحقّ، فقال تعالى: {وما لهم به من علم، إن يتّبعون إلاّ الظنّ، وإن الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً}، وجمع بين ذكر السببين في قوله: {إن يتّبعون إلاّ الظنّ، وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربّهم الهدى}، فالظنّ في مقابل العلم، واتّباع الهوى في مقابل الحقّ، والعلم الحقّ؛ هو تزاوج العلم مع الوحي الإلهيّ، واستمداده منه، وهو ماعبّرت عنه هذه الآية الكريمة " بالهدى "، والتقوى بمفهومها الشامل: هي تسامي النفس في مدارج العلم الحقّ، ورقيّها في أيّ مجال من مجالاته. ومن هذا الفهم يتبيّن لنا علاقة التقوى بالعلم، واستمدادها منه.

فآفة العلم الظنّ، وآفة الحقّ الهوى، أي أن يكون ظنّاً قد لبّس لبوس العلم، وهوى قد لبّس لبوس الحقّ، وممّا جاء عن عليّ رضي الله عنه، قوله في خطبة من خطبه: ".. وإن أخوف ما أخاف عليكم: اتّباع الهوى، وطول الأمل؛ فإن اتّباع الهوى يصدّ عن الحقّ، وطول الأمل ينسي الآخرة "

يتداركه الوحي الإلهيّ، ويستعصم بحبل الله المتين، الذي يرسم طريقه، ويرشد عقله، ويسدّد خطاه.

. والإنسان في هذه الرحلة، كثيراً ما يخدعه شياطين الإنس والجنّ عن طريقه؛

. فيظنّ المثل الأعلى الذي يحقّق له السعادة **في المتع الحسّية**، والإشباع الجسدي، فيمضي في هذه السبيل إلى غايتها، ويغرق في مستنقع لا يفيق منه، ولا يصحو إلاّ وهو يودّع هذه الحياة، فلا يصل إلى شيء ممّا لهث وراءه، وأفنى حياته في طلبه.

وقد يتراءى له المثل الأعلى الذي يحقّق له السعادة، **في الإشباع العقليّ**، والثقافة الفكريّة الواسعة، والقوّة الكلاميّة المتفوّقة، وغلبة الأقران في كلّ ميدان، فيمضي في هذه الطريق الشاقّة إلى غايتها، ويتخبّط في متاهات لا يخرج منها إلاّ بالأوهام، ولا يجني من

ولاننسى في هذه المناسبة أن القرآن ميّز بين نوعين من العلم: العلم الظاهري، الذي نعى على أصحابه بقوله سبحانه: {**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون**}، وهو قاصر عن الآخرة، ولا ينفكّ عن الظنّ وعن الهوى، والعلم الحقّ وهو ماتحدّثنا عنه آنفاً.

سعيه إلاّ الشكّ والقلق والركام، ولا يصل من رحلة شقائه إلاّ إلى ظلمات وقتام.

وقد يتراءى له المثل الأعلى الذي يحقّق له السعادة، **في الإشباع النفسيّ العاطفيّ**، والجنوح الخياليّ المبدع، فيبدع في الآداب والفنون ويمضي في هذا الشوط إلى غايته، فلا تسدّ جوعته ولا ينطفئ ظمأه، ويبقى يلهث خلف السراب، وقد يخدع بما وصل إليه، ويزيّن له سوء عمله فيراه حسناً.

وعندما يسقط الإنسان، ويغرق في اتّجاه من هذه الاتّجاهات، وهو يبحث عن المثل الأعلى، فقلّ أن يرتفع، ويعيد البحث والنظر كرّة أخرى، وذلك لأنه يزيّن له ما هو فيه، ويهوّن عليه ما اعتاده، أو تلبّس عليه الأمور، فيتحمّس لها ويتعصّب، إذ تصبح جزءاً من شخصيّته وحياته، أو يفنى شبابه، وينقضي عمره وهو غارق في أوهامه، فلا يمكنه المراجعة والاستدراك.

ثمّ إن كلّ هذه العلاقات؛ الجسديّة، أو العقليّة، أو النفسيّة [1]، لا تغني الإنسان شيئاً، لأنه لا يخرج بها عن دائرة نفسه، ووجوده

([1]) . ومن رحمة الله وإكرامه للإنسان، أن جعل له من الإيمان وحقائقه ما يسمو بعلاقاته كلّها ليكون فيها على أتمّ سعادة وأكملها، وجعل له مثلاً أعلى لكلّ هذه

المادّي الذي يحسّ به من أعماق داخله وكيانه أنه بحاجة إلى وجود أعلى منه، وأعظم منه، وأقوى منه، وأوسع منه، يمنحه القوّة، ويسكب في نفسه الأمل والطمأنينة، ويسمو بروحه عن أن تكون سجينة جسده ووجوده المادّي، وهو عندما يجد هذا المثل الأعلى يمنحه كلّ حبّه، وكل تعظيمه، وكل تقديسه وطاعته، ولن يجد ذلك المثل الأعلى إلاّ في الله جلّ جلاله.

. فالمثل الأعلى الحقّ إذن، يبتدئ في نفس الإنسان، ومن داخله، وهو قائم في أعماق كيانه ووجدانه، يبتدئ من فطرة الإيمان بالله تعالى، التي فطر الناس، كلّ الناس عليها، الإيمان بالله الواحد الأحد، المتّصف بكلّ كمال، والمنزّه عن كلّ نقصان، ذي الجلال والإكرام، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

وقد جاء ذكر المثل الأعلى في القرآن الكريم في مناسبتين:

الحقائق؛ فالمثل الأعلى للعلاقات الجسديّة نعيم الآخرة، وفيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والمثل الأعلى للعلاقات العقليّة معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وكمالاته، ومعرفة الدين الحقّ الذي ارتضاه لعباده، والمثل الأعلى للعلاقات النفسيّة المعاني الإيمانيّة من حبّ الله وخشيته والتوكّل عليه ومراقبته، وابتغاء مرضاته ومثوبته، وغير ذلك وسواه.

قال تعالى: {**للذينَ لا يؤمنونَ بالآخرةِ مَثَلُ السَّوْءِ، ولله المثلُ الأعلى، وهو العزيزُ الحكيمُ**} النحل /٦٠/.

وقال سبحانه: {**وهو الذي يَبدأ الخلقَ، ثمّ يُعيدُهُ، وهو أهونُ عليه، وله المَثَلُ الأعلى، في السمواتِ والأرضِ، وهو العزيزُ الحكيمُ**} الروم /٢٧/.

وقد جاء عن السلف في تفسير " المثل الأعلى " في الآيتين قولان:

- **الأوّل**: الغنى الكامل، والجود الشامل، والعلم الواسع، والصف الأعلى، والكمال المطلق من كلّ وجه.
- **والثاني**: قول: لا إله إلاّ الله، أو {**ليسَ كمثلِهِ شَيءٌ**}.

فالقولان متقاربان، ومؤدّاهما واحد.

فالله سبحانه هو المثل الأعلى، وله المثل الأعلى.

والذين يعبدون أنداداً وطواغيت من دون الله سبحانه، يتوجّهون إلى ما ليس بمثل أعلى، بل قد يكونون أرفع منه صفات، وهو أدنى منهم في الوجود، وأبعد عن أيّ كمال، فكيف يكون شريكاً لله أو ندّاً.؟

قال تعالى: {**ويعبدونَ مِن دونِ اللهِ ما لا يملكُ لهم رِزقاً، من السمواتِ والأرضِ شيئاً ولا يستطيعون، فلا تضربُوا للهِ الأمثالَ، إنّ الله يعلمُ، وأنتم لا تَعلمونَ**} النحل، الآيتان / ٧٣ . ٧٤ /.

وقال سبحانه: {**إنّ الذين تدعُون من دونِ الله عبادٌ أمثالُكم، فادعوهُم، فليستجيبوا لكم، إن كنتم صادقين، ألهم أرجُلٌ، يمشون بها، أم لهم أيدٍ يبطشون بها، أم لهم أعينٌ، يُبصرون بها، أم لهم آذانٌ، يسمعون بها.؟! قلِ: ادعُوا شركاءَكم، ثمّ كِيدونِ فلا تُنظِرون**} الأعراف، الآيتان / ١٩٤ . ١٩٥ /، وانظر ماقبلها، وما بعدها من الآيات.

ولقد كان من حكمة الله تعالى، وعظيم رحمته بعباده، ولطفه بهم أن أرسل لهم رسلاً من أنفسهم، مبشّرين ومنذرين، وجعلهم نماذج إنسانيّة عليا في كلّ الصفات، وعصمهم عن الخطايا والسيّئات، فهم الأسوة الحسنة، والمثل الأعلى للبشريّة، تتأسّى بهم، وتقتفي خطاهم، وختمهم بسيّد ولد آدم، سيّدنا محمّد ﷺ، ختم به النبيّين، وجمع له كمالات من سبقه من المرسلين، وزاده من

الفضائل والخصائص، ما لا يحيط به إلاّ ربّ العالمين، فقال سبحانه: {**أُولئكَ الذين هدى الله، فبهداهُمُ اقتَدِه**} الأنعام /٩٠/.

وخاطب أمّته بقوله سبحانه: {**لقد كان لكم في رسولِ اللهِ أُسوةٌ حسنةٌ، لمن كان يرجُو الله واليومَ الآخِرَ، وذكرَ الله كثيراً**} الأحزاب /٢١/.

فرسول الله ﷺ بنصّ هذه الآية، أسوة لأمّته في كلّ شأن، ومن هنا فإننا نقول بكلّ تعميم وتأكيد: لم ينبغ رجل في هذه الأمّة، في أمر من الحقّ أو الخير، إلاّ وله أسوة برسول الله ﷺ في ذلك، بدءاً من أصحاب رسول الله ﷺ وإلى يوم الناس هذا.

ثمّ إن النبيّ ﷺ تأكيداً منه على أهمّية المثل الأعلى وأثره في كيان الإنسان وحياته، فقد حدّثنا عن فضائل أصحابه، ومناقب الأنبياء من قبله، فلا تجد كتاباً من كتب السنّة والحديث الشريف إلاّ وفيه أبواب خاصّة بالفضائل والمناقب.

من ذلك حَديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

(أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ الله عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ،

وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيناً، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ)[1] .

وصلّى الله على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

تمّت

(١) . رواه الترمذي /٣٧٢٤/ و /٣٧٢٣/ في كتاب المناقب، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وابن ماجه وزاد فيه: (وأقضاهم علي بن أبي طالب)، ورواه أحمد في المسند /١٢٤٣٧/ و /١٣٤٧٩/.

الفهرس

الإهداء .....
مشكاة من النور .....
المقدّمة.....
تمهيد البيت المسلم مسؤولية .....
انعكاسات الخلل في بيت الداعية .....
على مستوى الداعية نفسه.....
على مستوى المستجيبين للداعية.....
على الدعوة بشكل عام .....
من دلالات الخلل.....

دستور الأسرة المسلمة

تمهيد.....
مرحلة قبل الزواج.....
غرس الآداب الإسلاميّة.....
أهمّ الآداب الإسلاميّة .....
في سنّ التمييز.....
في سنّ المراهقة.....
وبعد البلوغ الناشئ.....
أثر المثل الأعلى .....

ماذا يريد الأبناء من آبائهم.؟

قد يفصح كثير من الكبار عمّا في أنفسهم من نقد أو نصح، أو ملاحظات نحو الآخرين، ولكنّ الصغير نادراً ما يتجرّأ على تقديم نصحه أو نقده لمن هو أكبر منه، وبخاصّة إذا كان الكبير هو الوالد، فالحاجز عن النصح يكون أحكم وأتمّ..

ومن هنا وانطلاقاً من قول عمر بن الخطّاب ﷺ: " رحِمَ اللهُ امرءاً أهدَى إليّ عُيوبي " فقد أجرت المدرسة استبانة لطلاّبها، بأسلوب مسابقة، طلبت منهم فيها أن يفصحوا عمّا في أنفسهم من نصح وملاحظات، وآمال وتطلّعات يرغبون بها في سلوك آبائهم معهم، وقد كانت إجابات الطلاّب تحمل فوائد كثيرة للآباء، وتعكس مشاعر الأبناء نحو آبائهم بموضوعيّة وصدق وعفويّة، وتظنّ إدارة المدرسة أنّ كلّ أبّ أو مربّ يحرص على أن يعرف وجهة نظر الناشئ، ورأيه فيه..

ويخطئ من المربّين من يظنّ أنّ الأبناء في مرحلة الطفولة لا يدركون كثيراً من تصرّفات الآباء والمربّين، أو لا يلتفتون إليها.! بل إنّهم ليقوّمون مواقف الآباء والأمّهات والمربّين، وأقوالهم وأفعالهم، فيزدادون ثقة وإعجاباً ومحبّة، أو إنّهم تهتزّ ثقتهم بهم، ولا يرونهم قدوة حسنة لهم.. ممّا يضعف استفادتهم منهم، واستجابتهم لهم..

وإنّنا تحقيقاً للتواصل بين المدرسة وأولياء الأمور، ولتعميق الصلة بين أولياء الأمور وأبنائهم، ورغبة من المدرسة في أن تمتدّ رسالتها لتكون أعمّ من

أبنائها الطلاّب، فإنّ المدرسة لتتقدّم للسادة أولياء الأمور بمجموع ما وصل إليها من نصح الأبناء وملاحظاتهم، فمن وجد ملاحظة لم تشمله فليحمد الله تعالى، ولينتفع بما يخصّه، فإنّ تعديل المربّي في سلوكه جزء من مسئوليّته الشرعيّة والتربويّة، والكمال لله وحده، والعصمة لأنبيائه ورسله، والله الموفّق لكلّ خير..

ويمكن أن نصنّف طلبات الأبناء من آبائهم في النقاط التالية:

١ . أن يكون اهتمام الوالد أكثر بمتابعة أولاده في أداء الصلوات الخمس مع الجماعة، وبخاصّة صلاة الفجر، وأن يوقظ ولده لأدائها.

٢ . أن يهتمّ الوالد بالصلاة أكثر، ولا يضيّع شيئاً من الصلوات، ويصحب ولده معه إلى صلاة الجمعة.

٣ . ألاّ يكثر الوالد من الجلوس أمام التلفاز أو القنوات الفضائيّة، ويهمل أولاده فلا يجلس معهم.

٤ . أن يكون الوالد صديقاً لولده، يصحبه لزيارة أصدقائه، ويشاوره في أموره.

٥ . أن يتحفّظ الوالد في زياراته لأصدقائه، فلا يتكلّم أمام أولاده بأمور لا ينبغي أن تعرض على أسماعهم.

٦ . أن يكون الوالد متفهّماً لسلوك ولده، يسامحه عن بعض أخطائه، ويترك له مجالاً للدفاع عن نفسه إذا أخطأ.

٧ . ألاّ يكون الوالد عصبيّ المزاج مع ولده، قاسياً في تربيته، يكثر الصياح، ويغضب لأتفه الأسباب.

٨ . أن يكون الوالد مرحاً مع أولاده، مترفّقاً بهم، مداعباً لهم.

٩ ـ أن يسمح الوالد لولده بالالتزام بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، ويشجّعه على ذلك.

١٠ ـ أن يخصّص الوالد لأولاده وأسرته جلسة أسبوعيّة للتوجيه الدينيّ، وذكر قصص الصحابة وأخبار السلف الصالح.

١١ ـ أن يخصّص الوالد لأولاده وأسرته جلسة أسبوعيّة لتعليم القرآن الكريم وتجويده.

١٢ ـ أن يخصّص الوالد لأولاده وأسرته جلسة أسبوعيّة لمجالستهم ومباسطتهم.

١٣ ـ أن يتابع أولاده في الدراسة، ويعينهم في دراستهم.

١٤ ـ أن يكون الوالد قدوة لأولاده في فعل الخير والعمل بكلّ ما يأمر به.

١٥ ـ أن يبتعد عن الدخان والشيشة، وعن كلّ ما يضرّ بصحّته.

١٦ ـ ألاّ يغيب عن أولاده كثيراً، وإذا غاب عنهم أن يعوّض لهم بجلساته معهم، ومباسطته لهم.

١٧ ـ ألاّ ينشغل بدنياه كثيراً، ويهمل أهله وأولاده.

١٨ ـ أن يخصّص الوالد لأولاده مكتبة في البيت، فيها كلّ ما يناسبهم من القصص المفيدة، والكتب الدينيّة والعلميّة والثقافيّة.

١٩ ـ أن يشارك الوالد أولاده في ألعابهم، ويرشدهم إلى اختيار المفيد منها.

٢٠ ـ ألاّ يخاصم زوجته أمام أولاده، فإنّها أمّهم، ويجرحهم ما يجرحها.

٢١ ـ أن يملأ الوالد فراغ أولاده بما ينفعهم، ويرشدهم إلى ملء أوقاتهم بكلّ نافع ومفيد، ويشجّع أولاده على تنمية مواهبهم وهواياتهم المفيدة.

٢٢ ـ أن يقدّر الوالد متطلّبات كلّ مرحلة من عمر أولاده، ويعطي كلّ سنّ حقّها.

٢٣ ـ أن يشجّع الوالد أولاده أمام الآخرين، ولا يحقّرهم أو ينتقصهم.

٢٤ ـ أن يعلّم الوالد أولاده الشجاعة الأدبيّة، بتعليمهم آداب الحديث، وآداب المجالسة للآخرين ومحاورتهم، وأن يعوّده على الدعوة إلى الخير، والجرأة في قول الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، وبذل النصح، وتقبّل نصح الآخرين وملاحظاتهم.

٢٥ ـ أن يكافئ الوالد ولده إذا تفوّق في دراسته، أو أحسن فيما يطلب منه من عمل.

وختاماً؛ فإنّ ممّا يثلج الصدر أن تصلنا بعض الإجابات التي يرى فيها الأبناء في آبائهم قدوة حسنة، وأسوة طيّبة في الأخلاق والسلوك، والمعاملة التربويّة الواعية المسئولة، ممّا يجعل شخصيّة الابن سويّة متّزنة، وينعكس ذلك على نشأته بكلّ خير وصلاح.

وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

١٤٢٠/١/٢٧ هـ وكتبه راجي عفو ربّه ورضاه

د. عبد المجيد البيانوني

* صدر للمؤلّف *

١ . ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربويّة وآثاره.

٢ . وجوب وحدة المسلمين.

٣ . رسالة المعلّم وآداب العالم والمتعلّم.

٤ . اعرف نبيّك محمّداً ﷺ يا بنيّ.!

٥ . ومضات من هدي النبيّ الخاتم ﷺ.

٦ . البيّنات في تفسير سورة الحجرات.

٧ . المنهج القويم للداعية الحكيم.

٨ . مشاهد الأتقياء في الصبر على الابتلاء.

٩ . رسالتان في التربية.

١٠ . قصص وعبر من لطائف القدر. المجموعة الأولى.

١١ . قصص وعبر من عجائب القدر. المجموعة الثانية.

١٢ . حديث القلب.

١٢ . النصائح الذهبيّة لتربية الأولاد ورعايتهم.

١٣ . قبسات من نور النبوّة لصاحبي الفضيلة: الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني، والشيخ عبد الفتّاح أبو غدّة رحمهما الله تعالى. بعناية د. عبد المجيد البيانوني، وفي ختامه رسالة: " ومضات من هدي النبيّ الخاتم ﷺ ".

١٤ . تذكرة العابد بحقوق المساجد.

١٥ . أساليب تربويّة ومفاهيم دعويّة من حياة الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني.

١٦. ركائز دعويّة من هدي النبيّ ﷺ في العلاقات الاجتماعيّة.

١٧ . القول المبين في تفسير سورة: " يس ".

١٨ . لمحات من حياة الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني وتعريف بمؤلّفاته.

١٩ . لقطات تربويّة من هدي النبيّ ﷺ مع الأطفال.

٢٠ . خمس عشرة مهارة تجعلك مربّياً متميّزاً.

٢١ . خطوة خطوة نحو التربية الناجحة.

٢٢ . معالم تربويّة في حياة السلف.

٢٣ . ثلاثون سبباً تمنعك من الطلاق.!